

# خطبة الجمعة القادمة بعنوان: حديث القرآن عن بغاة الفتنة والمفسدين في الأرض

بتاريخ: 23 جماد آخر 1442هـ - 5 فبراير 2021م

## عناصر الخطبة:

### العنصر الأول: دعوة القرآن إلى الإصلاح لا الإفساد

### العنصر الثاني: المنافقون وعلاقتهم بالفتنة والفساد من خلال القرآن الكريم

### العنصر الثالث: علاج ظاهرة الفساد

## الموضوع

الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره ؛ ونؤمن به ونتوكل عليه ؛ ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. **أما بعد:**

### العنصر الأول: دعوة القرآن إلى الإصلاح لا الإفساد

**عباد الله:** لقد جاءت الشريعة الإسلامية السمحة لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم، وهذا هو الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام؛ حيث كان الإصلاح هو سبيل أئمة المصلحين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو منهجهم، فشعب عليه السلام يقول لقومه: { إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } [هود: 88]، وأوصى موسى عليه السلام أخاه هارون فقال: { اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: 142]، وبين جل وعلا الفارق العظيم بين أهل الإصلاح وأهل الفساد فقال: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص: 28].

وفي سياق التشريع القانوني وضعت أشد عقوبة وأقساها في الإسلام ضد المفسدين في الأرض يقول تعالى: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [المائدة: 33]، ولهذا قاوم الرسول صلى الله عليه وسلم المفسدين ونكل بهم وعاقبهم أشد العقوبة؛ فعن أنس بن مالك قال: ” سألتني الحجاج قال: أخبرني عن أشد عقوبة عاقب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال قلت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة من البحرين، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا من بطونهم، وقد اصفرت ألوانهم وضمرت بطونهم، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانخضت بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا ” [البخاري ومسلم]. هذا في سياق من يقطعون الطريق أمام إعمار الأرض وإصلاحها وازدهارها؛ ويسعون في الأرض فسادا !!

**عباد الله:** لقد أوجب الإسلام على كل مسلم أن يسعى للإصلاح في الأرض لا للإفساد فيها، وهذا أمر الله - عز وجل - لجموع الأمة؛ قال سبحانه: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [سورة الأعراف : الآية 56] .

## **العنصر الثاني: المنافقون وعلاقتهم بالفتنة والفساد من خلال القرآن الكريم**

**عباد الله:** للمنافقين علاقة وثيقة بالفتنة والفساد في الأرض ؛ لأن المنافق يحمل أدوات ومعاول الهدم والتخريب والفساد ؛ كما يحمل صفات النفاق المشهورة والمعلومة لدى الجميع؛ ومن أهم هذه الصفات : الكذب والخداع والخيانة والتدليس وخلف الوعد ؛ وأظهر صفات المنافقين قديما وحديثا هي إظهار الإسلام قولاً وعملاً، وإضمار الكفر، ومن يكون هذا حاله يُقال له "منافق"؛ فهو يتظاهر بالإيمان والعمل الصالح، ليتستر بالإسلام على كفره ليأمن من بطش المسلمين، وليدفع الخطر عن نفسه، ويكون المنافق في الغالب مرتكباً وخائفاً من الفضيحة؛ فهو بذلك شر الناس وذو وجهين ؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهِينِ الَّذِي يَأْتِي هَوًّا بِوَجْهِهِ وَهَوًّا بِوَجْهِهِ " (متفق عليه) .

" قال القرطبي - رحمه الله - : إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق ، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفساد بين الناس . وقال الإمام النووي : هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها ، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين ، وهي مدهانة محرمة " . ( فتح الباري ) .

فيا الله! كم من معقل للإسلام هدموه! وكم من حصن قد قلعوا أساسه وخرّبوه! وكم من علم قد طمسوه! وكم من لواء مرفوع قد وضعوه! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها! فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم مصلحون؛ بل هم مفسدون ولكن لا يشعرون .  
لذلك أضاف الله الإفساد إلى المنافق فقال: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} (البقرة: 205) يقول ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: " اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي أضافه الله - عز وجل - إلى هذا المنافق: فقال: تأويله ما قلنا فيه من قطعه الطريق، وإخافته السبيل كما حدث من الأخنس بن شريق. وقال بعضهم: بل معنى ذلك قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ... وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أنّ العمل بالمعاصي إفساد في الأرض، فلم يخص الله وصفه ببعض معاني الإفساد دون بعض". أ.هـ

ولقد ظهرت تلك الفتنة في المدينة على عهد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فتكاثر عدؤها، وتناسل أبنائها، وامتدّ نسلهم - لا كثرتهم الله - إلى زمننا هذا، فرأينا أحفادهم في زماننا لا يختلفون في مظهرهم عنّا، وهذا مكمن المصيبة؛ فهم - للأسف - من بني جلدتنا، ويتكلمون بجلاوة منطقتهم بألسنتنا، وينتسبون لديننا، وينتمون لأوطاننا.

**يعطيك من طرف اللسان حلاوة □□□□ ويروغ منك كما يروغ الثعلب**

ولو طوفنا حول آيات الفتنة والفساد في القرآن الكريم لوجدنا أن معظمها نزلت في المنافقين؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (البقرة: 11 - 15) .

فمن صفاتهم المداهنة للمسلمين في الظاهر مع إضمار الخبث والمكر والنفاق؛ فعن ابن عباس: أن عبد الله بن أبيي وأصحابه؛ خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عبد الله بن أبيي: انظروا كيف أزد هؤلاء السفهاء عنكم؟! فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحباً بالصديق سيدي بني تميم، وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله؛ ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيدي بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله؛ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه، سيدي بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا؛ فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟! فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأتنوا عليه خيراً، فرجع المسلمون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة: 14) . وقال تعالى فيهم أيضاً: ﴿ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة: 48 ؛ 49) .

وقد فضح الله المنافقين في عدة سور منها: سورة التوبة التي تسمى بالفاضحة ؛ وسورة المنافقون ؛ وهناك آيات كثيرة في شأن المنافقين ودورهم البارز في الفساد والإفساد في الأرض لا يتسع المقام لذكرها ؛ ولا تسعها هذه الوريقات في هذه الدقائق المعدودات؛ ونحن نعلم أنهم أطلقوا الشائعات والأراجيف في المدينة لتعطيل مسيرة الدعوة الإسلامية ؛ وسورة الأحزاب سطرت ذلك في آيات تتلى إلى يوم القيامة .

### **العنصر الثالث: علاج ظاهرة الفساد**

**عباد الله:** إن علاج ظاهرة الفساد والفتن والقضاء على هذه الظاهرة وسبل مواجهتها يتمثل فيما يلي:

#### **أولاً: التوجيه والإرشاد بخطر الفساد وعاقبة المفسدين:**

وذلك بكثرة التوعية والندوات؛ عن طريق الدعاة والإعلام المرئي والمسموع والمقروء والخطب وشبكة المعلومات الدولية؛ وجميع وسائل الاتصال الحديثة؛ بهدف توضيح مخاطر الفساد على المستوى الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي؛ مع بيان أن جريمة الفساد إنما هي مخالفة صريحة للأوامر الإلهية ولما جاء بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبيان أن ذلك دليل على ضعف الوازع الديني لدى الفاسد والمفسد، ولهذا فإن الإسلام يعمل

على تنمية وتقوية الوازع الديني لدى كل أفراد المجتمع حتى يكون الوازع الديني هو الذى يمنع المرء من ممارسة الفساد وارتكاب جرائمه.

وكذلك تربية النشء على المبادئ الإسلامية لأن الأبوين هما المسئولان عنهم، وبين ذلك الرسول في قوله: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (متفق عليه) .

### ثانيا: فرض عقوبات رادعة للمفسدين:

وليكن الهدف من العقاب هو ردع كل مَنْ تُسَوَّلُ له نفسه أن يفسد أو يقدم على أي نوع من أنواع الفساد بكل صورته، وليس الهدف التشفي أو الانتقام من المفسد؛ لذلك عمِل رسول الله على تأصيل هذه المعاني في نفوس الصحابة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه " أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: اضْرِبُوهُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِتَوْبِهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ" (البخاري) .

لهذا قال عثمان -رضي الله عنه-: " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، أي: يمنع بالسلطان باقتراف المحارم، أكثر ما يمنع بالقرآن؛ لأن بعض الناس ضعيف الإيمان لا تؤثر فيه زواجر القرآن، ونهي القرآن؛ لكن متى علموا أن هناك عقوبة من السلطان، ارتدعوا، وخافوا من عقوبة السلطان لئلا يفتنهم، أو يضربهم، أو ينفيمهم من البلاد، فهم يخافون ذلك!!

**ثالثا: قيام أهل الصلح والإصلاح بالنهي عن الفساد:** قال تعالى: { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ } . (هود: 116 ؛ 117) .

**رابعا: تعاون جميع فئات المجتمع مع:** لأن حل ظاهرة الفساد والإفساد وعلاجها لا يقتصر على فئة معينة، وإنما يشمل جميع أفراد المجتمع: شباباً وأسرّة ودعاةً ومؤسساتٍ وحكومةً؛ فإذا كان الطبيب يعطى المريض جرعة متكاملة حتى يشفى من سقمه - إن قصر في نوع منها لا يتم شفاؤه - فكذلك علاج هذه الظاهرة يكون مع تكاتف المجتمع بجميع فئاته، فكل فئة لها دور ، وباكتمال الأدوار يرتفع البنيان، وإلا كما قيل:

**ومتى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنى وغيرك يهدم**

**نسأل الله أن يجعلنا من المصلحين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون؛؛**

**الدعاء،،،،، وأقم الصلاة،،،،، كتبه: خادم الدعوة الإسلامية**

**د / خالد بدير بدوي**